ظاهرة الخسوف في ضوء النصوص المسمارية

أ. م. د. عباس إبراهيم صابر
جامعة الحمدانية – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

ظاهرة الخسوف من الظواهر الطبيعية التي تلفت نظر الإنسان منذ أقدم العصور ولا زال حتى الآن، وهناك الكثير من التفاسير الفلكية والدينية حول هذا الموضوع قديماً وحديثاً، وكان لابد لنا أن نوضح بعض تلك التفاسير عند سكان بلاد الرافدين، فضلاً عن علم الفأل والتنجيم والتنبؤات المستقبلة، فأردنا في هذا المؤتمر أن نسلط الضوء على هذه الظاهرة الكونية التي ألفتت نظر الإنسان منذ العصور السومرية المبكرة، لنبيّن الخسوف لغةً واصطلاحاً، ونعلم تسمية الخسوف في اللغتين السومرية والأكدية، فضلاً عن بيان نظرة سكان بلاد الرافدين لظاهرة الخسوف من الناحية الدينية ونذكر الأمثلة على ذلك من النصوص المسمارية، وننتقل إلى نظرة السكان السياسية لهذه الظاهرة وانعكاساتها على حياة الملوك، ونتناول النظرة الاجتماعية والاقتصادية مع ذكر الأمثلة من النصوص المسمارية ونقوم بتحليل تلك الأمثلة حسب رؤيتنا كباحثين مختصين في مجال الدراسات المسمارية، وختمنا البحث ببعض النقاط من الاستنتاجات المهمة التي توصلنا إليها أثناء كتابة البحث.

الكلمات المفتاحية: الخسوف، علم الفلك، بلاد الرافدين، نصوص مسمارية، ظاهرة.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 10, Issue 34-2, Nov 2023
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The phenomenon of eclipses in the light of cuneiform texts

Asst Prof. Dr. Abbas Ibrahim Saber
University of Al-Hamdaniya/ College of Education

Abstract:

The phenomenon of the eclipse is one of the natural phenomena that has attracted human attention since ancient times and continues to this day. There are many astronomical and religious interpretations on this subject, ancient and modern, and it was necessary for us to clarify some of these interpretations among the people of Mesopotamia, in addition to the science of omens, astrology, and future predictions. In this conference, we wanted to shed light on this cosmic phenomenon that has drawn human attention since early Sumerian times, to explain the eclipse linguistically and terminologically, and to teach the name of the eclipse in the Sumerian and Akkadian languages, as well as to explain the view of the people of Mesopotamia on the phenomenon of the eclipse from a religious perspective, and we mention examples of this from Cuneiform texts, and we move on to the population's political view of this phenomenon and its repercussions on the lives of kings. We address the social and economic view while mentioning examples from the cuneiform texts. We analyze these examples according to our vision as researchers specialized in the field of cuneiform studies. We concluded the research with some points from the important conclusions that we reached while writing search.

Keywords: Eclipses, Astronomy, Mesopotamia, Cuneiform texts, Phenomenon

المقدمة

يعد علم الفلك من أقدم العلوم التي توصل إليها سكان بلاد الرافدين، وهو العلم الذي يختص برصد الأجرام السماوية ومعرفة حركتها ودورانها، فضلاً عن ارتباطه ارتباطاً وثيقاً بعلم الرياضيات، على الرغم من أن أقدم النصوص الفلكية التي تم العثور عليها ترجع بتاريخها إلى بداية العصر البابلي القديم، إلا أن هناك بعض الدلائل التي تشير إلى معرفة السومريين منذ العصور السومرية المبكرة بثنايا هذا العلم، وهذه المعلومة يمكن أن نستنتجه من بعض النصوص السومرية القديمة التي ورد فيها القصص والأساطير الدينية كقصة الخليقة التي تمتد جذورها إلى تلك العصور المبكرة والتي ورد فيها إشارات واضحة إلى النجوم والكواكب ومواقعها وعلى الأبراج وغيرها من الإشارات، وكان التوصل لهذا العلم هو حصيلة سنوات طويلة من الخبرة المتراكمة لمراقبة السماء بدقة لما لها من تأثيرات في حياته اليومية من الناحية السياسية والدينية والاقتصادية.

وهذه الخبرة المتراكمة في علم الفلك كان لابد أن تجد طريقها نحو التدوين بشكل مباشر كنصوص فلكية أو غير مباشر كإشارات في بعض القصص والأساطير التي تدور حوارها حول النجوم والكواكب، إلى جانب المئات من الرسائل الفلكية التي تفسر بعض الظواهر التي اخافت الملوك كظاهرتي الخسوف والكسوف، فضلاً عن العديد من النصوص الفلكية الأخرى كنصوص الأرصاد والنصوص الاسطولابية التي تعد من النصوص الفلكية الغامضة، والنصوص الخاصة بكبس السنوات، ونصوص التنجيم لأغراض الفأل، فللخسوف موضوع البحث دور واضح في تأثيره على جوانب الحياة كافة في بلاد الرافدين، سواء كانت من الناحية الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وان لهذه الظاهرة التي حدثت في الماضي لا زالت تحدث إلى يومنا هذا تأثيرات مؤثرة في نفوس الناس والمجتمع حتى الوقت الحاضر، وهناك بعض العادات التي جرت في الماضي استمرت إلى يومنا الحالي بعد ان كانت ضمن الطقوس التي تقام كحرز للحد من خطر الكوارث، اضحت الآن عادات واعراف تقام لنفس الظاهرة ومثال ذلك نجدها في المجتمعات القروية وفي بعض المدن، وسيتم التطرق لتلك العادات الموروثة في يومنا هذا التي كانت تقام في أيام السومريين والبابليين والآشوريين، ونحن بصدد أن نبين تلك العادات الأصيلة الموروثة في عرقنا الحاضر.

تناول البحث ظاهرة الخسوف في ضوء النصوص المسمارية، وتطرقنا إلى الخسوف لغةً واصطلاحاً، وتسمية الخسوف في اللغتين السومرية والأكدية وتوصلنا لاستنتاج مهم في التسمية،

فضلاً عن نظرة سكان بلاد الرافدين لظاهرة الخسوف، كالنظرة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وختمنا البحث ببعض النقاط من الاستنتاجات التي توصلنا اليها أثناء كتابة البحث.

ونسأل الله أن نكون قد وفقنا في ايصال البحث إلى المستوى المطلوب، ولطلبة العلم نضع بين أيديهم هذا البحث المتواضع.

أولاً: الخسوف لغةً:

الخَسْفُ: سُؤوخ الأرض بما عليها. خَسَفت تَخْسِف خَسْفاً وخُسوفاً، وانْخَسَفَتْ به الأرض، وخسفها الله به. وخسفت عينُه: ساخت. وعين خاسفة: فقئت، وغابت حدقتها. وخَسَفت الشمسُ تَخْسِف خُسوفاً: ذهب ضوؤها. وخَسفها الله، وكذلك القمر. وخَسَفْناه خَسْفاً. وخسوفُ الشمسِ: يوم القيامة: دخولها في السَّماء، كأنها تكورت في جحر. وخسف الشيءَ يخسِفه خَسفاً: خَرقه. وخَسَفَ السقفُ نفسه، وانخسف: انخرق. والخَسْفُ: تحميلك إنساناً ما يكره. وناقة خسيفٌ: غزيرة سريعة الانقطاع من اللبن في الشتاء[١].

ثانياً: الخسوف اصطلاحاً:

هو غياب القمر وذهاب نوره وظلامه، وتحدث هذه الظاهرة عندما تتحرك الأرض وتأخذ موضعاً بين الشمس والقمر ليُحدث خسوف القمر وعندها تكون الاجرام الثلاثة على خط واحد[٢]، بحيث لا يستطيع نور الشمس الالتفاف أو السير في خطوط منحنية، لذا فأن نور الشمس لا يصل إلى القمر فيبدو مائلاً إلى اللون الأحمر الغامق[٣].

ثالثاً: تسمية الخسوف في اللغتين السومرية والأكدية:

وقد اصطلح على تسمية هذه الظاهرة في اللغة السومرية بالمصطلح (AN.TA.LÙ)[٤] ويقابلها في اللغة الأكدية المصطلح (antalû>attalû)[٥]، التي تعني (خسوف القمر أو كسوف الشمس) أو المصطلح السومري (AN.MI.^{d}30)[٦] ويقابلها باللغة الأكدية (attal ^{d}sin)[٧]، التي تعني أيضاً (خسوف القمر أو كسوف الشمس).

وهنا يتبين لنا أن تسمية الخسوف لغةً في اللغة العربية تدل على خسوف القمر وكسوف الشمس، وهذا ما وجدناه في اللغة الانكليزي، إذ أن المصطلح نفسه (eclipse) تدل على الخسوف والكسوف معاً، وفي اللغتين السومرية والاكدية نجد مصطلحاً واحداً يطلق على الخسوف والكسوف أيضاً، ولكن الاختلاف في الوقت الحاضر هو أن كتب الجغرافية الفلكية التي أعطت تسمية (الخسوف) للقمر، والتسمية المرادفة للخسوف (الكسوف) للشمس للتفريق بينهما، ولهما المعنى نفسه.

رابعاً: نظرة سكان بلاد الرافدين لظاهرة الخسوف:

أن سكان بلاد الرافدين كانوا ينظرون لظاهرة الخسوف نظرة تشاؤم، ويعتقدون ان لها تأثيرات سلبية في مختلف جوانب الحياة، فهناك نظرة دينية لهذه الظاهرة، ولها أيضاً تأثيرات سياسية فهي تحيط حياة الملك بالخطر، وهناك نظرة اجتماعية لهذه الظاهرة أنها من الممكن أن تؤذي الفلاحين وسكان البلاد من حيث تأثيرها في محاصيلهم الزراعية، وأخرى اقتصادية فهي

حسب معتقداتهم من الممكن أن تنشر المجاعة في البلاد أو قد تؤدي إلى خراب البلاد عن طريق الفيضانات التي من المحتمل أن تحدثها أثناء حصولها في أوقات معينة، وعلى وفق ذلك يمكننا تناول هذه الظاهرة من تلك الجوانب.

- **النظرة الدينية:**

اعتقد سكان بلاد الرافدين أن ظاهرة الخسوف تحدث عندما تسيطر الشياطين السبع على السماء، ومن ثم تغطي نور القمر وتسيطر على الاله سين (اله القمر)، وهو بذلك يتألم من سيطرة الأرواح الشريرة عليه، اذ اعتقد القوم انه من الآلهة التي تتعرض للموت المؤقت(٨)، وقد مارس سكان بلاد الرافدين طقوس عدة اثناء ظاهرة الخسوف، من اجل انقاذ القمر من الارواح الشريرة، كإيقاد النار في مجمرة من الخشب امام المعابد، مع الحرص على ادامة اشتعال النار طيلة مدة الخسوف، ويجب أن تجهز كل مجمرة بكبش واحد وإبريق صغير وثلاثين سيلاً من الحبوب على أن توضع جميع الأشياء أمام المجمرة(٩)، وعلى الكهنة أن يبكوا بصوت عالٍ فضلاً عن قرع الطبول واستخدام الآلات التي تولد اصواتا عالية ليرعبوا بها الشياطين التي تحيط بالقمر(١٠)، اذ نقرأ في احدى الاساطير البابلية ما يأتي:

"**اخترقت آلهة الشر السبعة قبة السماء، وتجمعت غاضبة حول هلال إله القمر... فأصبح مظلما في الليل والنهار ولم يجلس على عرش سلطانهِ فرأى انليل، ظلام البطل سين في السماء، فدعا انليل وزيرهُ نسكو (إله النار)، بلّغ رسالة إلى العمق، انقل إلى أيا خبر ابني سين المتألم في السماء، فلما سمع أبا في العمق هذهِ الرسالة ضرب فخذهُ، وأطلق صيحة أسى واستدعى ابنهُ مردوك، وقال لهُ: اذهب ولدي مردوك ...**"(١١).

من الواضح أن هذه الأسطورة تؤلف مقدمة لبعض التراتيل الدينية المخصصة لوقت الخسوف، فقد كانت تقام في اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان ترنيمة للإله (نركال) إله العالم الأسفل، ويقام مهرجان (ايسينو) لإله النهر، ولعل هذا استعداداً لنزول إله القمر إلى العالم الأسفل، وعبور نهر الموت عند خسوفه، وكان الملك يقدم بهذه المناسبة القرابين إلى الإله (نركال)، إله نهر الموت(١٢).

وهناك اشارة في أحد النصوص على اكتئاب الكهنة والناس وارتمائهم على الأرض، ونياح الشعب كأنهم يرثون ميتاً، واستمرار البكاء مع استخدام القيثارة بأعلى صوتها أثناء ظاهرة الخسوف مع تقديم الكهنة للقرابين ويتعالى الأصوات بالبكاء والنواح على إله القمر فهذه الظاهرة بمثابة الموت لهذا الاله محاولين بأفعالهم هذه انقاذ الاله مما هو به من ظلام دامس، اذ نقرأ في أحد التراتيل الدينية التي كانت تقرأ أثناء حدوث الكسوف ما يأتي:

"وحلت الظلمة في باب السماوات، وأظلمت المعابد التي أساسها راسخ في السماء، واكتأب كهنتها وارتموا على الأرض، وناح شعب الرؤوس السود كأهل المراثِ وجرت الدموع، وعسى أن يستمر الباكون والنائحون حتى يكسروا القيثارات عند نواحهم، وعسى أن يستمر كهنتها (أي المعابد) بتقدم القرابين فيها، وبنظرتك عسى أن يستطيع المزارع والفلاح أن يظهروا الزرع، وعسى ان يمجد النائحون على قيثارة الملك والآلهة"(١٣).

إذ اعتقد سكان بلاد الرافدين أن قرع الطبول بصوت عالٍ مع العزف على آلة القيثارة فضلاً عن النواح والبكاء يرعب العفاريت والشياطين التي تحاول أن تؤذي الاله سين، محاولين بهذه الأعمال إشعارها بمحبتهم لهذا الإله ومؤازرتهم لهُ في هذهِ المحنة، وانها لن تستطيع ان تنال منهُ طالما كان الشعب والكهنة واقفين بجانب الاله سين، ويقدمون له القرابين وهو في محنته دلالة على محبتهم له(١٤).

- **النظرة السياسية:**

وقد شمل نظرة القوم قديماً لظاهرة الخسوف بالتشاؤم للناحية السياسية والعسكرية، فسكان بلاد الرافدين كانوا يعتقدون أن ظاهرة الخسوف في أشهر معينة أنها نذير شؤم لحياة الملك وأحياناً نذير شؤم بجيوش البلاد، فإذا حدث الخسوف في اليوم الرابع عشر من الشهر سيمان أي الشهر الثالث من التقويم البابلي (حزيران) هو نذير شؤم لديهم وخاصة عندما يكون القمر أثناء خسوفهِ بوضع معين كالخسوف الجزئي، اذ يكون مظلماً في اعلى الجانب الشرقي وظاهراً في اسفل الجانب الغربي وستهب الريح الشمالية، فإن ذلك يدل على تغييرات سياسة خطيرة نتيجة لخيانة سياسية يقوم بها ولي العهد للاستيلاء على عرش الملك، لذا وجب تنبيه الملك على تلك الخيانة، والتي قد تأتي من ابنه وولي عهده، ولا شك في أن هذا التنبؤ لم يأتِ من ظنون أو شكوك او من نسج الخيال بل لابد من أن مثل هذهِ الخيانة قد حصلت فعلاً متزامنة مع حدوث ظاهرة الخسوف بتلك الشروط نفسها التي حددها نص الفأل، مما دعا الكهنة إلى كتابة مثل هذا النص وغيره من نصوص الفأل التي دوّنوا فيها تطيرهم من الخسوف(١٥)، كما جاء في نص الفأل الآتي:

"إذا حصل خسوف يوم ١٤ من شهر سيمان (حزيران) واصبح إله القمر في خسوفهِ مظلماً في اعلى الجانب الشرقي وظاهراً في أسفل الجانب الغربي وسوف تهب الريح الشمالية خلال مراقبة المساء ومكمل	1-[1 *ina*] ITI.SIG$_4$ UD-14-KÁM AN.MI GAR-*ma* DINGIR *ina* KAxMI-*šú* Á IM.3 AN.TA KAxMI-*ma* 2- [0] Á IM.4 KI.TA *iz-ku* IM.2 EN.NUN AN.TA ZI-*ma* 3-[0] EN.NUN-MURUB$_4$.BA TAG-*ut* KAxMI-*šú* IGI-*ma* IM.2

المراقبة الوسطى: راقب خسوفه وحافظ على الريح الشمالية في ذهنك وعليه فان قراراً اعطي اور وملك اور، وسوف يشهد ملك اور مجاعة والموت سيكون كثيراً أما بالنسبة لملك اور فإن ابنهُ سوف يسيء إليه، الا ان شمش سيقبض على الابن الذي اساء لوالدهِ وسيموت في مكان الحداد الخاص بأبيه، إن ابناً للملك الذي لم يتم تسميته للملوكية هو الذي سوف يتسلّم العرش"	*ina* ŠU.2-*ka tu-ka*! 4- *ina* ŠÀ ŠEŠ.UNUG.KI u LUGAL ŠEŠ.UNUG.KI EŠ.BAR SUM LUGAL ŠEŠ.UNUG.KI SU.KÚ IGI 5- ÚŠ.MEŠ *i-man-du* LUGAL ŠEŠ.UNUG.KI DUMU-*šú i-ḫab-bíl-šú-ma* 6- DUMU *ḫa-bíl* AD-*šú* ^{d}UTU KUR-*su-ma ina* KI.ḪUL AD-*šú* ÚŠ 7- DUMU LUGAL *šá a-na* NAM.LUGAL *la* ZAK-*ru* GIŠ.GU.ZA DIB-*bat*(16)

وهناك نص فأل آخر يذكر لنا ان الخسوف إذا حصل في الشهر الثالث من التقويم البابلي أي: (حزيران) من اليوم الأول إلى اليوم الثلاثين منهُ، فإن ذلك نذير شؤم لملك مدينة أكد بتعرض البلاد لفيضان كبير، وسيدمر الإله أدد حصاد البلاد، وسيسقط جيش عظيم، إذ نقرأ في النص ما يأتي:

"إذا حدث خسوف في شهر سيمان (حزيران) من اليوم الاول إلى اليوم الثلاثين: خسوف ملك مدينة أكد: سيحدث فيضان كبير، وسوف يدمر الإله أدد حصاد البلاد، وسيسقط جيش عظيم"	11- 1 *ina* ITI.SIG$_4$ TA UD-1-KÁM EN UD-30-KÁM AN.MI GAR AN.MI LUGAL URI.KI 12- Á.KAL ŠÚ GÁL-*ma* BURU$_{14}$ KUR ^{d}IM RA-*iṣ* ERIN GAL ŠUB-*ut*(17)

وهذه التنبؤات لا يتم التنبؤ بها من لا شيء كما أسلفنا سابقاً، وانما لابد أن يكون هناك أحداث مماثلة قد حدثت وصادفت مع خسوف القمر ليعدها المنجمون والسحرة قاعدة اثبات لتنبؤاتهم لكي يعطوا هذه التنبؤات المصداقية بين أفراد الشعب.

وكان ملوك بلاد الرافدين مهتمين بشدة بمراقبة هذه الظاهرة من قبل الفلكيين التي تخيفهم بتنبؤاتها، ويرسلون الرسائل إلى الفلكيين والمنجمين من أجل تطمينهم هل سيحدث الخسوف أم لا؟ وكانت تأتيهم الاجابة من قبل الفلكيين انه سيحدث أو لا، وإذا حدثت فماهي

التنبؤات التي تحيط بها، كما نرى في هذه الرسالة المرسلة من قبل أحد الفلكيين إلى الملك، اذ نقرأ:

"إلى سيدي الملك خادمك اشاريدُ الأصغر، سوف لن يحدث خسوف القمر في البلاد ليسعد سيدي ملك"	*a-na* LUGAL *be-lí-ia* ARAD-*ka* ^{m}*a-šá-*[*ri-du*] *qa-at-nu 30* AN.MI *ul i-*[*šá-kan*] ŠÁ-*bi šá* LUGAL KUR.KUR *be-lí-iá lu-ú* [*ṭa-a-bi*](18)

وإذا لم يحدث الخسوف فهذه بشارة خير للملك وسيسعد بها كما نرى المنجم يخبر سيده الملك في الرسالة السابقة.

إن بعض النصوص كانت عبارة عن إجابات لأسئلة خاصة استفسر عنها الملك(١٩)، وكان المنجم او العراف يرصد النجوم ويراقب حركتها، ووقت ظهورها واختفائها، وما قد يحدث لها من ظواهر غير اعتيادية كالخسوف والكسوف أيضاً، ويفسِّر كل ذلك ويستدل منه على ما سيحل بالملك والمملكة(٢٠)، وقد حظيت هذه الظواهر الجوية باهتمام كبير من لدن الملك اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)، إذ نجد شبكة مراصد واسعة وزعت في معظم أنحاء البلاد يعمل فيها عدد من العرافيين المختصين بالمراقبة والرصد(٢١)، ويقومون بإرسال تقارير منتظمة إلى العاصمة، إذ كان الملك اسرحدون يقلق كثيراً من الخسوف والكسوف، وكان لابد من تطمينه حول ذلك، ولدينا رسالة من الكاهن بلاسي إلى الملك اسرحدون يقول فيها: **"إلى الملك سيدي خادمك بلاسي، ليكن سيدي الملك بخير، لتبارك الآلهة نبو ومردوخ سيدي الملك، بخصوص ما كتب عنه الملك قائلاً: هل يوجد أي شيء في السماء هل لاحظت شيئاً؟ فإني أرد بالقول: بأن مراقبتي ثابتة وأني لم أشاهد أي شيء على الإطلاق، ووفقاً لذلك أرسلت إلى الملك لا يوجد شيء محدد ولم أشهد شيئاً"**(٢٢).

وقد تكون الظواهر الكونية مبشرة بالخير بالنسبة للملك، إذا لم يصاحب القمر حدوث خسوف له، فنرى في أحد الرسائل التي تذكر اكتمال القمر (بدر) في أول يوم من السنة الجديدة بشارة بالخير للملك، كما جاء في الرسالة الآتية لأسرحدون:

"سيكتمل القمر في أول يوم من رأس السنة الجديدة، وهو شيء يبشر بالخير للملك سيدي"	"[*Sin*] [*ûmu^{mu}*] *ú-šal-lam* ^{2}*šú ba*[*-ši-i*] *ri-eš šatti* ^{3}*damik šá* [*šarri*] *bêli-ia*"(23)

ونرى في رسالة اخرى من أحد المنجمين مجاوباً الملك، ورادا على طلبهِ تقريراً بمتابعة ذلك الخسوف المرتقب، اذ يقول فيه:

"بخصوص مراقبة الخسوف الذي كتب لي ... الملك (من اجلهِ) ... حدث الخسوف"	*"ina muḫḫi maṣṣarti ša* AN.MI *ša šarru ... išpuranni ...* AN.MI *šakin"*(24)

وفي رسالة اخرى من أحد المنجمين مجاوباً الملك، نقرأ فيه الآتي:

"بخصوص خسوف القمر الذي كتب سيدي الملك لي، فقد تمت المراقبة في مدن أكد، بورسبا، ونيبور، ما رأيناهُ في أكد ينطبق على الأخرى"	*ana* MAN EN-*iá liš-ru-ku ina* UGU AN.MI^{d}30 *ša* MAN *be-lí iš-pur-an-ni ina* URU.*ak-kad* BÁR.SIPA.KI *ù* EN.LÍL.KI *ma-ṣar-túit-ta-aṣ-ru ki-i ša ina ŠÀ* URU.*ak-kad né-mur-u-ni a-ḫe-iš e-tap-la* LI$^{!}$.[LI.ÍZ] URUDU$^{!}$(25)

- **النظرة الاجتماعية:**

نجد أن النظرة التي كانت تنطبق على الناحية الدينية والسياسية هي نفسها تنطبق على الناحية الاجتماعية، اذ نرى التشاؤم أيضاً في نظرة سكان بلاد الرافدين لظاهرة الخسوف من الناحية الاجتماعية، وتبث الرعب والخوف في نفوسهم، ويبدأ العرافيين بتفسيراتهم لهذه الظاهرة ومدى انعكاساتها على المجتمع، ولا يزال هذا الشعور بالخوف من الخسوف مستمراً حتى يومنا هذا، إذ يخرج الناس في بعض القرى والمدن كباراً وصغاراً من مساكنهم حاملين المشاعل أو المصابيح بينما يدق البعض منهم على الطبل أو على أي إناء معدني لإحداث اصوات عالية مرددين بعض الاناشيد الخرافية(٢٦)، معللين سبب اختفاء القمر بابتلاع الحوت لهُ، والغرض من إقامة تلك الطقوس والاناشيد إعادتهُ إلى حالتهُ الطبيعية، وهذه العادات والتقاليد هي موروث من قديم الزمان مع بعض الاختلافات الطفيفة فيها، فمن الجانب النفسي والاجتماعي، فقد رُبط قدر الانسان منذ ولادتهُ وحتى وفاتهِ بالظُلمة والغموض إذا تزامن ولادته مع ظاهرة الخسوف ففي أحد نصوص الفأل نقرأ: **"إذا صادف أن ولد طفل والقمر كان في الخسوف فإن حياتهُ ستكون مظلمة وغامضة"**(٢٧).

ونجد في نص آخر ان الخسوف يؤدي إلى حدوث فوضى في البلاد مما يدفع الاخ لقتل أخيه، وهذا ما أكده الكاتب في قوله إن الخسوف إذا ما حصل في شهر نيسان فإن الدمار

سيجتاح البلاد نتيجة للجوع، والامر الذي يؤدي إلى ظهور جرائم القتل حتى أن الاخ يقتل اخاهُ، كما جاء في النص الآتي:

"إذا حدث خسوف في شهر نيسان فإن ذلك سوف يسبب الدمار، وأن الاخ سوف يقتل أخاهُ"(٢٨).

لقد كان لهذهِ الظاهرة تأثير كبير على فكر الانسان منذ العصور المبكرة ففي مرثية أور، نجد الذعر والخوف ينتاب أهالي المنطقة من جراء حدوث الكسوف عندهم، إذ نقرأ: **"اسودت السماء بظلمة حالكة وأصدت الجبال، واختفى القمر وسط السماء وعاش الناس في رعب"**(٢٩).

ونقرأ في نص آخر تشاؤم الناس والمنجمين بظاهرة الخسوف، كما جاء في النص الآتي: **"وعندما يخسف القمر وهو بدر يتحول هذا التفاؤل إلى تشاؤم او إلى فأل سيء بالنسبة للناس والمنجمين"**(٣٠).

هناك نص يخص خسوف القمر على درجة كبيرة من الأهمية، وهي عبارة عن تواريخ وأشهر الذي من الممكن حدوث الخسوف فيها، وفي مدن مختلفة، هذا إذا دل على شيء فأنه يدل على معرفة سكان بلاد الرافدين بعلم الفلك وتقدمهم في هذا العلم، اذ نقرأ فيه ما يأتي: **"الخسوف ينذر (بحدوثه) في (اوقات) المراقبة المسائية وهذا انذار لأكد. واخر يحصل في منتصف الليل، انذار إلى سوبارتو، وانذار اخر في ساعة الصباح إلى عيلام في نيسان وآب وتشرين الاول قد يحدث الخسوف في أكد، وفي ايار وايلول وكانون الاول (قد يحدث) في عيلام. وفي حزيران وتشرين اول وشباط في سوبارتو، هذه أشهر الخسوفات القمرية. اليوم الثالث عشر في أكد والرابع عشر في عيلام والخامس عشر في امرو، والسادس عشر في سوبارتو ايام الخسوفات القمرية"**(٣١).

ومن نصوص الفأل التي تخص النظرة الاجتماعية ما نراه في هذا النص الذي يخص وضع الاساس لبيت في الشهر الذي وقع فيه خسوف القمر، وهذا النص يوضح لنا ان الشهر الذي يحدث فيه خسوف القمر يكون الشهر بأكمله مشؤماً، اذ نقرأ في نص الفأل الآتي: **"إذا وُضِعَ الأساس لأحد الدور في شهر خسوف القمر، فتلك الدارُ تُحرب وتتغلب عليها الكآبة وتدمر"**(٣٢).

- **النظرة الاقتصادية:**

ان الخسوف في نظرة سكان بلاد الرافدين القدماء تؤثر على الناحية الاقتصادية أيضاً، فهذه الظاهرة لا تشمل التشاؤم في النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية فقط، وانما تشمل اقتصاد الفرد والمجتمع، فعندما تؤدي هذه الظاهرة بجلب الكوارث الطبيعية للمدينة كالخراب

والتدمير والفيضانات عند حدوثها في أيامٍ معينة من السنة القمرية، فهي بالتأكيد ستؤثر في اقتصاد الفرد والمجتمع من خلال تدمير البساتين والمحال التجارية والابنية بكل أصنافها والسدود والمعابد والقصور.

رأى المنجمون في بلاد الرافدين أن للخسوف تأثيراً في الجانب الاقتصادي عن طريق ربط هذه الظاهرة باعتقادهم إذا حدثت في الشهر الثالث فهي نذير شؤمٍ بحدوث فيضان في البلاد، فقد بين أحد نصوص الفأل ان الخسوف الذي يحدث في الشهر الثالث من يومهِ الاول إلى اليوم الثلاثين منهُ سيحدث فيضاناً في البلاد ويدمر المدينة بأكملها، اذ نقرأ في النص:

"إذا أصبح القمر مظلماً في سيمان (حزيران) فإن أدد سيتسبب بدمار في نهاية السنة، وإذا حصل خسوف في سيمان (حزيران) سيحدث فيضان وستجرف المياه البلاد"	1 30 *ina* ITI.SIG$_4$ *a-dir* EGIR MU.AN.NA ^{d}IM RA-*iṣ* 1 30 *ina* ITI.SIG4 AN.MI GAR A.KAL GÁL-*ma bi-ib-lu* A.MEŠ KUR *ub-bal*(33)

وفي نص آخر أشّرنا إليه في النظرة السياسية ولكننا لم نركز للنظرة الاقتصادية في حينها، نرى أن الخسوف إذا حدث في شهر الثالث أيضاً، وبالذات في اليوم الرابع عشر منه، وأصبح اله القمر في خسوفه مظلماً في أعلى الجانب الشرقي، وظاهراً في أسفل الجانب الغربي أي: بمعنى (خسوفاً جزئياً)، مع هبوب الرياح الشمالية خلال حدوث الخسوف، فهذه الحالة تدل على أن هناك قراراً اعطي لمدينة اور وملكها، بحدوث مجاعة لملك اور والموت سيكون كثيراً، فقد أراد المنجم أن يبين للملك والشعب أن الخسوف الجزئي إذا حدث مع الشروط التي اشّر اليها المنجم في نص الفأل كهبوب الرياح الشمالية بالذات، واستمرار هبوبها أثناء الخسوف فهذا دليل على اصابة المدينة بالمجاعة، كما مبين في النص الآتي:

"إذا حصل خسوف يوم ١٤ من شهر سيمان (حزيران) وأصبح إله القمر في خسوفهِ مظلماً في اعلى الجانب الشرقي وظاهراً في أسفل الجانب الغربي وسوف تهب الريح الشمالية خلال	[1 *ina*] ITI.SIG$_4$ UD-14-KÁM AN.MI GAR-*ma* DINGIR *ina* KAxMI-*šú* Á IM.3 AN.TA KAxMI-*ma* [0] Á IM.4 KI.TA *iz-ku* IM.2 EN.NUN AN.TA ZI-*ma* [0] EN.NUN-MURUB4.BA TAG-*ut* KAxMI-šú IGI-ma IM.2 ina ŠU.2-*ka tu-ka! ina* ŠÀ ŠEŠ.UNUG.KI

مراقبة المساء ومكمل المراقبة الوسطى: راقب خسوفه وحافظ على الريح الشمالية في ذهنك وعليه فان قراراً اعطي اور وملك اور، وسوف يشهد ملك اور مجاعة والموت سيكون كثيراً"	*u* LUGAL ŠEŠ.UNUG.KI EŠ.BAR SUM LUGAL ŠEŠ.UNUG.KI SU.KÚ IGI ÚŠ.MEŠ *i-man-du* LUGAL ŠEŠ.UNUG.KI DUMU-*šú i-ḫab-bíl-šú-ma* DUMU *ḫa-bíl* AD-*šú* dUTU KUR-*su-ma ina* KI.ḪUL AD-*šú* ÚŠ DUMU LUGAL *šá a-na* NAM.LUGAL *la* ZAK-*ru* GIŠ.GU.ZA DIB-*bat*[34]

ومن تنبؤات المنجمين سابقاً أن القمر إذا ظهر بحجمٍ كبير فهذا يدل على حدوث الخسوف قريباً، وإذا كان لامعاً جداً عند ظهوره فهذا بشارة خيرٍ اذ ان محاصيل البلد سوف تنتعش، وكما مبين في نص الفأل الآتي:

"عندما يكون القمر كبيراً فإن خسوفاً سوف يحدث وإذا كان لامعاً جداً عند شروقه فإن محاصيل البلد سوف تنتعش"[٣٥].

الخاتمة والاستنتاجات

عند كتابة بحثنا الموسوم (الخسوف في ضوء النصوص المسمارية دراسة مقارنة مع التوراة والقرآن الكريم) توصلنا لجملة استنتاجات وهي كالآتي:

١. أن أول استنتاج توصلنا اليه هو أن تسمية الخسوف لغةً في اللغة العربية تدل على خسوف القمر وكسوف الشمس، وهذا ما وجدناه في اللغة الانكليزي، اذ أن المصطلح نفسه (eclipse) تدل على الخسوف والكسوف معاً، وفي اللغتين السومرية والاكدية نجد أيضاً مصطلحاً واحداً يطلق على الخسوف والكسوف، ولكن الاختلاف في الوقت الحاضر هو أن كتب الجغرافية الفلكية التي أعطت تسمية (الخسوف) للقمر، والتسمية المرادفة للخسوف (الكسوف) للشمس للتفريق بينهما، ولهما المعنى نفسه.

٢. ربط سكان بلاد الرافدين ظاهرة الخسوف بعلم ما وراء الطبيعة، وظنوا سبب حدوثها هو الآلهة السبعة التي تهجم على القمر وتقيده أو تأسره وتأخذه للعالم السفلي، وكتبوا في نصوص الفأل الكوارث التي ستقع بالملك أو الدولة والشعب من جراء هذه الظاهرة، لذا نجدهم يراقبون هذه الظاهرة للكشف عمّا يخبئهُ لهم المستقبل من حوادث طارئة، ومعرفة كل حركات القمر في الأشهر القمرية وأثناء حدوث الخسوف مما ادى بدوره لتطور علم الفلك في بلاد الرافدين، وظهور علماء مهتمين بهذا العلم منذ ذلك الوقت.

٣. كانت نضرتهم إلى هذهِ الظاهرة من جوانب متعددة حسب معتقداتهم الدينية أو رؤية مفسريهم من المنجمين والعرافين للخسوف في ذلك الوقت، فقد اعتقدوا أن لها تأثيراً مباشراً في الناحية الدينية لان تفسيرهم لحدوث هذه الظاهرة هي هجوم الهة الشر السبعة لإله القمر.

٤. ضمت تفسيرات المنجمين والعرافين لهذه الظاهرة جوانب سياسية، اذ اعتقدوا أن حدوثها في اليوم الرابع عشر من الشهر البابلي الثالث (أيار – حزيران) تؤدي إلى انقلاب على سلطة الملك وموته من قبل ابنه البكر، ولكن النتيجة لا تؤدي إلى تولي ولي العهد للحكم لان الاله شمس سينتقم من الابن البكر ويولي الحكم للابن الثاني.

٥. تناولت تفسيرات المنجمين والعرافين الجوانب الاجتماعية لهذه الظاهرة، لان حدوث الخسوف في أيام معينة من السنة القمرية تؤدي إلى حدوث اضطرابات سياسية وبدورها تؤدي إلى خراب البلاد وقتل الاخ لأخيه، وإذا صادفت ولادة طفل أثناء ظاهرة الخسوف فأن حياة هذا الطفل سيكون معتمة ومظلمة كنظرتهم التشاؤمية للخسوف.

٦. لم تسلم الجوانب الاقتصادية من تفسيرات المنجمين والعرافين لظاهرة الخسوف، فهي إذا حدثت في أشهر معينة ستؤدي بدورها إلى مجاعة البلاد وحدوث فيضانات التي تؤدي بدورها إلى دمار المزارع وتحطيم سدود الري عند الفلاحين وهذا كله يؤثر في الجوانب الاقتصادية للبلد.

الهوامش

References

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج٩، بيروت، د.ت، ص٦٧.

(٢) هناك شرط أساسي لحدوث خسوف القمر الا وهو وقوع مراكز الشمس والأرض والقمر جميعاً على خط واحد، وهذا الشرط في الحقيقة لازم ولكنه غير كاف، أما الشرط الآخر فيحققه القمر لما كان القمر يدور في مدار لا يتفق مع مستوى الخسوف والكسوف وانما يميل عليه بمقدار ٧ درجات، كان معنى ذلك أن ظاهرتي الخسوف والكسوف لا تحدثان الا إذا وقع القمر في احدى النقطتين اللتين يلتقي عندهما مستوى الخسوف والكسوف بمدار القمر حول الأرض وتعرفان بالعقدتين، وفي هذه الحالة فقط تحدث ظاهرة الخسوف أو الكسوف، والخسوف قد يكون جزئياً أو تاماً، للمزيد ينظر: العقاد، أنور عبد الغني، الجغرافيا الفلكية، الرياض، ١٩٨٣، ص١٥٤-١٥٥.

(٣) البدوي، خليل، موسوعة دائرة المعارف الشاملة الموسوعة الفلكية، عمان، ١٩٩٩، ص١٤.

(٤) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: الأب البير أبونا ووليد الجادر وخالد سالم اسماعيل، مراجعة الدكتور عامر سليمان، بغداد، ٢٠٠٤، ص٤٩.

(5) Black, J., George, A., Postgate, N., A Concise Dictionary of Akkadian, (CDA), 2th, ED, Wiesbaden, 2000, p. 18: b.

(6) Oppenheim, A. L., And Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, (CAD), Chicago, 1956 F.F., A2, p.505: b.

(٧) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكدية – العربية، ابو ظبي، ٢٠١٠، ص٧٢.

(٨) الأسود، حكمت بشير مجيد، "أدب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٢، ص١٠١.

(9) Hookes, S.H., Babylonian and Assyrian Religion, Oxford, 1962, P. 92.

(١٠) رشيد، صبحي انور، الموسيقى في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص١٤٥. وكذلك ينظر: النعيمي، شيماء علي أحمد، "الفلك في العراق القديم من القرن السابع الى القرن الرابع (ق.م)"، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٦، ص٧٧.

(١١) حنون، نائل، الحياة والموت، دمشق، ٢٠٠٥، ص١٦٦.

(12) Langdon, S., Babylonian Menologies and Semitic Calendars, London, 1935, P. 81.

(13) Ebeling, E., "Ein Gebet an Finen Refins Tarfins ter ten Gott aus Neu Assyrischer zeit", Orientalia, Vol. 17, Berlin, 1948, p.416-422.

(١٤) الجمعة، رشا عبد الوهاب محمود، أثر الكوارث الطبيعية في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٧، ص٧.

(١٥) الجمعة، رشا عبد الوهاب محمود، أثر الكوارث الطبيعية في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية، ص١٠.

(16) Huner, H., Astrological Reports to Assyrian Kings, SAA, Vol. VIII, Helsinki, 1992, No. 4: 1 - 7.

(17) SAA, Vol. VIII, No. 4: r. 11 - 12.

(18) Parpola, S., Letters from Assyrian and Babylonian Scholars, SAA, Vol. X, Helsinki, 1992, No. 158: 1 - 3.

(١٩) اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعيد فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨١، ص٣٦١.

(٢٠) الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد، أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ، ٢٠٠٦، ص١٠٠.

(٢١) رغم التطور الذي حصل عند سكان بلاد الرافدين في علم الأرصاد الفلكية إلا أن الأدوات التي استخدموها كانت بسيطة، كما أننا لا نملك أي دليل مادي (أثري) على وجود شيء يقابل التلسكوب في الوقت الحاضر، باستثناء العثور على عدسات من حجر الكريستال في عدد من المواقع الأثرية، وهذا ما يدفعنا للقول بأن أساليب الرصد العراقية القديمة كانت تركز على جزء بسيط من الطيف الكهرومغناطيسي، ويقصد به الطيف المرئي (الضوء) ينظر: اسماعيل، خالد سالم، مظاهر التوحد في العلوم الصرفة، في وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين: ١٦-١٧ شباط، ٢٠٠٠، المجمع العلمي،٢٠٠١، ص١٥٤.

(22) Waterman, L., Royal Correspondence of the Assyrian empire, part1, University of Michigan press, 1930, No, 152, let. 687, P. 103.

(23) Waterman, L, Royal correspondence of the Assyrian Empire, part 2, London, New York, 1972, Lett. 993, P. 188.

(24) CAD, A/2, P. 506: a.

(25) SAA, Vol. X, No. 347: 5-9.

(٢٦) من الاناشيد الخرافية في يومنا هذا (حوتهُ يا منحوتة هدي كَمرنا العالي)، للمزيد ينظر: عيسكو، اسحق، الخرافات الشائعة، التراث الشعبي، ع ١١، مج ١، بغداد، ١٩٧٠، ص٩٤.

(٢٧) رشيد، فوزي، علم الفلك بداية وانجازاته ، المؤرخ العربي، ع ٥٥، بغداد، ١٩٩٧، ص٢٠٧-٢١١.

(٢٨) الهيتي، قصي منصور، "عبادة الاله سن في حضارة بلاد وادي الرافدين"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٥، ص٦٦.

(29) Mich, Alowski, P., The Lamented: On over the Destruction of Sumer and Ur, USA, 1981, p.40.

(٣٠) النعيمي، شيماء علي أحمد، "الفلك في العراق القديم من القرن السابع الى القرن الرابع (ق.م)"، ص٧٧.

(31) Parpola, S, letters from Assyrian scholars, London, 1951, p. 407.

(٣٢) الجواري، هيثم أحمد حسين عبو، "نصوص الفأل البابلية في ضوء النصوص المسمارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٥، ص١٤٤.

(33) SAA, Vol. VIII, No. 4: r. 6-7.

(34) SAA, Vol. VIII, No. 4: 1-7.

(٣٥) الجواري، هيثم أحمد حسين عبو، "نصوص الفأل البابلية...."، ص١٩.